دور رياض الأطفال في تغير التنشئة الأسرية

أة. يحياوي مريم

جامعة الحاج لخضر- باتنة1

البريد الالكتروني : meriemyahiaoui40@gmail.com

ملخص

شهدت أغلب الدول العربية - ومنها الجزائر- انفتاحا ملحوظا في ميادين عديدة أهمّها خروج المرأة إلى العمل ومساندتها الرجل في تحمّل مسؤوليات الحياة، وهذا ما يستوجب ترك أبنائها طوال اليوم إمّا بمفردهم أو تحت رعاية أفراد عائلتها أو عائلة زوجها، بالإضافة إلى ظهور عامل مهم اليوم وهو رياض الأطفال و التي ترعاهم في غياب الأم طوال اليوم، وأصبحت شريكا في تربية الأبناء والاهتمام بهم بعد أن انشغل تفكيرها بالعمل لتأمين مستقبلهم رفقة زوجها.

يتناول هذا المقال أساليب التنشئة الأسرية ودور مؤسسات رياض الأطفال في ظل اشتغال الأمهات و متاعب ازدواجية الدور لديهن.

الكلمات الدالة: التنشئة الاجتماعية– الأسرة – الوظيفة – التغير – رياض الأطفال – الدور- العمل

ABSTRACT

Witnessed most of the Arab countries - including Algeria - remarkably open in many fields the most important woman going out to work and support men to assume the responsibilities of life, which would require them to leave their children throughout the day, either alone or under the care of the members of her family or her husband's family. However, the new orientation that prevails today is the

emergence of the role of kindergartens, which sponsored in the absence of the mother throughout the day, and become a refuge in the upbringing of children and interest them after they spent working hard to secure their future together with her husband.

This article deals with methods of family upbringing, and the characteristics and the role of care by supplementing institutions kindergartens in the functioning of mothers and troubles with double role.

.مقدمة :

إن عملية التربية تبدأ من ميلاد الطفل، ومنذ ذلك الوقت تأخذ الأسرة بالاهتمام به والعناية بتنشئته، فالأسرة إذن هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل، ويتفاعل مع أعضائها، وهي تسهم بالقدر الأكبر في الإشراف على نموه وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه.

فالأسرة الأداة الأساسية التي تعمل على تشكيل الطفل وهي تنقل إليه كافة المعارف و المهارات والقيم التي تسود المجتمع، بعد أن تترجمها إلى أساليب عملية من التوجيه والإرشاد لتنشئته التنشئة الاجتماعية الصحيحة.

ولكي ينمو الطفل نموا سليما فهو بحاجة إلى جو أسري دافئ وهادئ ومستـقر، وهـو بحاجـة أيضا إلى مساندة والديه، والشعور بالتقبل في إطار الأسرة.

واثر خروج الأم للاشتغال خارج الإطار المنزلي، وضرورات التربية المستمرة. تلجأ العديد من الأسر إلى وضع أبنائها برياض الأطفال .

و نتساءل في هذا الشأن ماهو الدور التربوي لهذه المؤسسات في ظل تغير التنشئة الأسرية ؟ .

1- مفاهيم حول الأسرة:

1- 1- تعريف الأسرة:

تمثل الأسرة الوحدة الأساسية التي يقوم بها هيكل المجتمع وعلى الصورة التي تكون عليها الأسر من القوة أو الضعف يكون المجتمع. [1].

- ويرى " أحمد زكي بدوي " أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تغرها المجتمعات المختلفة. [2]

- وتعتبر الأسر ذلك المجال الحيوي الذي يتلقى فيه الإنسان أولى دروس الحياة الاجتماعية وهي أساس وجود المجتمع وكذا مصدر الأخلاق والرعاية الأولى لضبط السلوك، وفي اعتقاد عالم الاجتماع الفرنسي ❖إميل دوركايم❖ أن الأسرة ليست ذلك التجمع الطبيعي للأبوين وما ينجبانه من أولاد، بل إنها مؤسسة اجتماعية تكونت لأسباب اجتماعية، ويرتبط أعضاؤها حقوقيا وخلقيا يبعضهم البعض [3].

1- 2- وظائف الأسرة التقليدية

لقد كانت الأسرة في السابق وحدة اجتماعية تقوم بكافة الوظائف الضرورية اتجاه أعضائها و ذلك بالقدر الذي تقتضيه حاجاتها بمعنى آخر كانت وحدة اقتصادية وهيئة سياسية و إدارية و تشريعية كما كانت هيئة دينية و تربوية [4].

فقد كانت تقوم بإنتاج ما تحتاج إليه، و كانت تعمل جاهدة على أن تكفي نفسها بنفسها، فتنتج ما تحتاج إليه و لا تستهلك إلا بقدر إنتاجها و كانت الأسرة أيضا هيئة تشريعية حيث كانت تضع الشرائع و تقوم بمنح الحقوق والواجبات، و تفصل في المنازعات بين الأفراد، و كانت هيئة دينية و تربوية ،

حيث كانت تضع قواعد العقيدة و تقوم بتربية الأطفال و تنشئتهم و إعدادهم للحياة المستقبلية .

ونجد العالم الفرنسي" أوجست كونت " عند تحليله لموضوع الأسرة لم يبحث عن منشأ الأسرة و لم يتعمق في تحليلها و دراسة مراحل تطورها و اكتفى بأن قرر أن الحياة الأسرية نظام موجود بالفطرة، و هي الحالة الطبيعية للإنسان [5].

وقسم "كونت " وظائف الأسرة إلى ثلاث: الوظيفة الأخلاقية، الوظيفة التربوية، والوظيفة الدينية على اعتبار أن الوظيفة الأخلاقية أهم وظائف الأسرة. [6]

حيث أكد على أن وظيفتها الأساسية أخلاقية من خلال تنظيم العلاقات الاجتماعية في محيط الأسرة و تربية الأولاد، و نجد أيضا أنه من بين العمليات الوظيفية التي تؤديها الأسرة إضافة إلى هاته الوظائف الأمن الاجتماعي، التي تتولى الأسر تحقيقه لأفرادها و هذا من خلال حمايتهم من المؤثرات الخارجية ونشر الإحساس بالأمن [7].

1- 3- تغير الأسرة:

تمثل مسألة التغير واحدة من الاهتمامات والهموم الجوهرية الأولى لعلماء الاجتماع المحدثين، فلم يقتصر التغير على تركيب العائلة والأسرة، بل تعداه إلى طبيعة التوقعات لدى الناس من علاقاتهم بالآخرين، فاصطلاح العلاقة الذي نستخدمه لوصف جانب من حياتنا الفردية الشخصية لم يدخل قيد الاستعمال في المجالات العامة إلا منذ عقود قليلة، وغذا من الضروري عند استخدامنا لهذا المصطلح في الحياة الفردية والشخصية أن ينطوي هذا المفهوم على بعدين رئيسيين هما: أن تكون الصلة حتمية في طابعها وأن تتضمن معنى الالتزام، أي أن تتميز بالتواصل والمشاركة الشعورية النشطة بين الأطراف المعنية. [8]

إن التغير الأسري يشير إلى أوضاع جديدة تطرأ على البناء الأسري ووظائفه وأدوار الأفراد المشكلين له تحت تأثير النظم والعادات وأدوات المجتمع المتغير باستمرار كما يفهم التغير الأسري من خلال التبدل والتحول والديناميكية في العلاقات أسرية المختلفة.

1- 4- وظائف الأسرة المعاصرة

لا شك في القول بأن الأسرة الحديثة لم تعد هي الأسرة قديما، بل تغيرت معالمها كثيرا لا من حيث الشكل – طبعا- وإنما من حيث الدور الذي تقوم به الأسرة، وإن كان هناك تغير على الشكل من قبيل تقلص حجم الأسرة ولكن الشكل العام للأسرة باق ولم يتغير في شيء، فالأركان التي تتكون الأسرة منها هي الأركان في الأسرة قديما وحديثا .

أما اليوم ظهرت مؤسسات أخرى تشارك الأسرة هذه الوظيفة فقد أدى تطور الحياة البشرية، واستقرار الإنسان، وبناء المجتمعات المدنية والقروية، وزيادة الخبرات الإنسانية وتعدد أنواع المعرفة البشرية إلى ظهور مؤسسات أخرى مشاركة للأسرة في واجب الرعاية، والاهتمام والتربية والتوجيه، إن هذه المشاركة لا غبار عليها لو كانت تلك المؤسسات تضم أفرادا لديهم القدرة على تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم .

و نجد أن الأسرة المعاصرة فقدت الكثير من وظائف الأسرة التقليدية التي كانت تقوم بها في الماضي، حينما كانت الأسرة النظام الاجتماعي الرئيسي.

فقد صاحب التغيرات التي تعرضت لها المجتمعات تغيرات في الوظائف التي كانت الأسرة تقوم بها من قبل، ونتيجة لزيادة التخصص، والنمو المستمر في التنظيمات البيروقراطية و إثباتها أنها أكفأ من غيرها من التنظيمات في تحقيق الأهداف المجتمعية، وفي إشباع الحاجات الفردية فقد بدأت هده التنظيمات في

أخذ وظائف الأسرة الواحدة بعد الأخرى على شكل هيئات مستقلة، فانتزعت الدولة الوظيفة السياسية وأنشأت لها الهيئات الحكومية والمجالس النيابية وانتزعت منها الوظيفة الاقتصادية وأصبح الإنتاج لغاية الاستهلاك هو سمة الاقتصاد المعاصر، وانتزعت منها الوظيفة الدينية وأصبحت من اختصاص رجال الدين وانتزعت منها وظيفة التربية والتعليم فأنشأت المدارس و الجامعات ومراكز الرعاية للطفولة و دور رياض الأطفال .

2 - الأبعاد السوسيو أسرية لعملية التنشئة الاجتماعية :

2- 1- تعريف التنشئة الاجتماعية :

يمكن وصف عملية التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي تتشكل فيها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته وسلوكه لكي تتوافق مع تلك التي يعتبرها المجتمع مرغوبة ومستحسنه لدورة الراهن أو المستقبل في المجتمع.

- يعرفها ❖ سعد الدين إبراهيم ❖ بأنها العملية المجتمعية التي يتم خلالها تشكيل وعي الفرد ومشاعره وسلوكه وعلاقاته بحيث يصبح عضواً فاعلاً ومتفاعلاً ومنسجماً ومنتجاً في المجتمع.

- أما ❖حامد زهران ❖ فيعرفها بأنها عملية تعليم وتعلم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى اكتساب الفرد طفلاً فراشداً شيخاً سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية إذ أنها عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وهي عملية إدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية. [9]

2- 2- خصائص التنشئة الاجتماعية

من أهم خصائص التنشئة الاجتماعية أنها عملية اجتماعية قائمة على التفاعل المتبادل بينها وبين مكونات البناء الاجتماعي كما إنها عملية نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان وكذلك باختلاف الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد وما تعكسه كل طبقة من ثقافة فرعية، كما إنها تختلف من بناء اجتماعي واقتصادي لآخر وتمتاز بأنها عملية مستمرة حيث أن المشاركة المستمرة في مواقف جديدة تتطلب تنشئة مستمرة يقوم بها الفرد بنفسه ولنفسه حتى يتمكن من مقابلة المتطلبات الجديدة للتفاعل وعملياته التي لا نهاية لها.

كما أنها عملية إنسانية واجتماعية حيث يكتسب الفرد من خلالها طبيعته الإنسانية التي لا تولد معه ولكنها تنمو من خلال الموقف عندما يشارك الآخرين تجارب الحياة. فهي تهدف إلى تحويل ذلك الطفل إلى عضو فاعل قادر على القيام بأدواره الاجتماعية متمثلاً للمعايير والقيم والتوجهات. وهناك كثير من الجماعات والمؤسسات التي تلعب دوراً رئيسياً في عملية التنشئة – الأسرة- المدرسة- جماعة الرفاق- أماكن العبادة – النوادي ووسائل الأعلام والوسائط الثقافية المسموعة والمكتوبة والمرئية كلها وسائط حتمية ومفروضة لعملية التنشئة حيث تتداخل لتؤطر الطفل وتوجه حياته وتشكلها في مراحلها المبكرة وعلى الرغم من اختلاف تلك المؤسسات في أدوارها إلا أنها تشترك جميعاً في تشكيل قيم الطفل ومعتقداته وسلوكه بحيث ينحو نحو النمط المرغوب فيه دينياً وخلقياً واجتماعياً. إن هذه المؤسسات لا يقتصر دورها على المراحل المبكرة من عمر الطفل ولكنها تستمر في ممارسة تدخلها فترة طويلة من الزمن وأهمها بالطبع الأسرة والمدرسة.

2 - 3- التنشئة الأسرية

إن للأسرة تأثير كبير في حياة الطفل خاصة في السنين الأولى من عمرة فهي تمثل عالم الطفل الكلي وتؤثر بدرجة كبيرة على تطوير شخصيته ونموه. ويبدأ هذا التأثير بالاتصال المادي والمعنوي المباشر بين الأم وطفلها. فهي ترعاه وتحنو عليه وتشبع حاجاته كما أن دور الأب والإخوة له تأثير كبير على تنشئته وتطوير شخصيته الاجتماعية. أن شخصية الوالدين وموقع الطفل بالنسبة لأخوته ومركز العائلة الثقافي والاقتصادي والصلات القرابية كلها عوامل أساسية خاصة في السنين الأولى من عمره. فتأثير الأسرة يمس أبعاد حياة الطفل الجسدية والمعرفية والعاطفية والسلوكية والاجتماعية مما يجعل تأثيرها حاسماً في حياته. كما أن الأسرة تنقل إلى الطفل قيم ومعايير وتحدد المواقف من مختلف القضايا الاجتماعية والمثل العليا وكذلك مفهوم القانون والمسموح والممنوع كل هذا يشكل هوية الطفل وانتمائه فالأسرة هي المؤسسة الرئيسية في نقل الميراث الاجتماعي فالمسألة ليست إشباعاً لحاجات مادية وإنما هي بناء الشخصية وبناء الانتماء.

وإذا طرأت بعض المتغيرات أو المؤثرات داخل الأسرة أدت إلى التضارب في أداء الأدوار وأثرت بالتالي على عملية التنشئة فتصبح هي الأكثر تضرراً لتلك المتغيرات فالتفكك الأسري أو انفصال أحد الوالدين وسلبية العلاقة بينهما أو بين الأبناء والتميز بين أدوار الذكور والأنوثة وما ينتج عنه من عدم مساواة كل ذلك له اثر في توجيه السلوك كما أن الوضع الاقتصادي المتدني للأسرة يؤثر سلباً في إشباع حاجات الطفل. وان ما تمر به بعض المجتمعات من مشاكل كالحروب والمجاعات وعدم الاستقرار السياسي وتدهور الأوضاع الاقتصادية والكوارث الطبيعية ينعكس سلباً على الخدمات التعليمية والصحية والثقافية وغيرها كلها معيقات حقيقية في وجه عملية التنشئة .

2 - 4- أساليب التنشئة الأسرية للأبناء

تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية تحويل الفرد من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري التصرف في محيط أفراد آخرين من البشر، يتفاعلون مع بعضهم البعض، ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التي تتبلور طرائقهم في الحياة، وتقوم بهذه العملية في بداية حياة الفرد منذ ولادته مجموعة الأسرة. [10]

تتوقف أساسا حياة الطفل ومعيشته في السنوات الست الأولى على أسرته وبالدرجة الأولى على أمه بالذات، وليست أهمية الأسرة بالنسبة للطفل تتركز حول مدى ما توفره له الحياة الأسرية فحسب، بل إنها تتعدى ذلك إلى عملية تنمية شخصيته وجعله آدميا، متوافقا مع أفراد المجموعات التي يندمج فيها ويكون عضوا من أعضائها ويحدث ذلك عن طريق نقل الثقافة السائدة في هذه المجموعات إليه، وكذلك بواسطة ضبط سلوكه. [11]

يعتبر علماء الاجتماع والتربية أن الأسرة هي أصلح بيئة لتربية الطفل وتكوينه في السنوات الأولى، لأن الصلة بين الوالدين والطفل أقوى ما تكون بينه وبين أي جماعة أخرى، وبذلك فإن تنشئة الطفل مع والديه أفضل وسيلة لتهذيب انفعالاته وتكوين خلقه. [12]

إلا أنه في بعض الأحيان وعند بعض الأسر تعاني من جهل الأبوين، فإن حبها للطفل يكون سببا في إفساده، حيث لا يكون الأب حازما معه في أوقات الحزم، وقد يكون العكس عندما يكون الوالدان قاسيين على الطفل فينشأ الطفل ضحية القسوة، وقد يكون لهذه القسوة أثرا إيجابي في بعض الأحيان.

وتختلف أساليب تربية الأبناء بين الوسط الحضري والوسط الريفي للاختلاف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بين الوسطين ولانتشار فرض التحضر بالمدينة بشكل أوسع.

عموما تختلف الأسر في أساليب تربية الطفل تبعا للمستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة.

وهذه الاختلافات لا تكون فقط في مجال أساليب تربية الطفل، ولكن أيضا في مناهج التأدب، وفي طرق إظهار العواطف وفي طريقة ترتيب اللعب، وفي الطرق التي تحدث بها الأمهات أطفالهن، بالإضافة إلى طموحات الآباء في مستقبل أبنائهم، ويبدو أن هذه المتغيرات لا تعمل بصورة مباشرة، وإنما تؤدي إلى نمو الاختلافات القيمية التي تكون حافزا مباشرا للسلوك [13] .

- يمكن حصر جملة من الأساليب في الآتي :

1- البعض يطبق الطرق التقليدية المبنية على السيطرة واستعمال وسائل قمعية في التأديب: منها الضرب والترهيب، وقد تبين علميا أن هذا الأسلوب في التربية من شأنه إصابة الطفل بعاهات نفسية تؤثر في مستقبله الدراسي وحياته العلمية، وتفرز فيه الميول العدوانية والانطوائية، وتعرض في بعض الأحيان شخصيته للانحراف.

وتؤكد أغلب الدراسات على أن أكثر الاعتداءات شيوعا تشمل الضرب بالأيدي، العنف اللفظي، والمعتدون هم في الغالب الأم والأب أو الاثنين معا، والأولياء في هذه الحالات هم عادة من الأميين ومن الفئات البسيطة [14].

وعلاقة الوالدين ببعضهم البعض وعلاقتهما بأبنائها لها دور الفعال في تربية الطفل، وفي خلقه، فالأب أو الأم أو كلاهما عندما يتحيزان لبعض الأبناء، ويفضلانه عن غيره، يكسب هذا التميز ويورث الغيرة والأنانية بين الأطفال والطفل يتعلم الحب والكراهية في محيط الأسرة من خلال حب والديه له وكراهيتهم لمن يؤذيه أو يضره. [15]

ففي دراسة تربوية أجريت في تونس حول علاقة المراهقين بأسلوب التربية الوالدية، صرح المراهقون بأن فرض أشكال الانضباط، وقلة التفتح على الأفكار من طرف الآباء تجاههم يؤدي إلى سوء العلاقة معهم، و بالتالي حدوث حالات النفور والاتجاه نحو سلوكات غير سوية تجاه الذات أو المجتمع . [16]

2- هناك من يطبق الطرق الحديثة في التربية التي تقوم في الأساس على الديموقراطية، والحب، والإقناع والنصح وتقديم العون والإرشاد والخبرة بدل العقاب والتهديد والوعيد.

وفي هذا السياق أشارت دراسة تجريبية علمية قام بها علماء ومتخصصون في هذا المجال أن الأطفال الذين يتربون في جو من الحب والرعاية يتصفون بالخصائص الآتية : [17]

أ- أنهم أكثر استقلالا في سلوكهم.

ب- أنهم أكثر شعورا بالمسؤولية تجاه عملهم.

ج- أنهم أكثر استعداد للتعاون مع الآخرين.

د- أنهم أكثر مثابرة على مواجهة الصعاب.

أما الأطفال الذين تجرى تربيتهم في جو يغيب فيه الحب و يسوده التشدد فنتيجته أفراد إتكاليون، وفاترون وأقل إبداعية، وغير مستعدون للتعاون، وميالون إلى الاستسلام بسهولة.

3- هناك من يطبق أسلوب التربية الذي كان يتلقاه من أبويه مع تعديله حسب الخبرات التي عاشها وبذلك يبذل كثير من الآباء كل ما يمكنهم من جهد لإعطاء أطفالهم كل ما حرموا إياه في طفولتهم، ويحاولون بقدر المستطاع استخدام أسلوب يختلف عن الأسلوب الذي استخدم معهم ولما كان دافع الآباء تجنب الأخطاء التي ارتكبها آباءهم معهم فإنهم يتبعون طريقا وسطيا يجمع بين

القديم والحديث، حيث يصعب عليهم التخلص من الطرق التربوية التي نشأوا عليها مع محاولتهم انتهاج الطرق الحديثة مع أبنائهم. [18]

ومن الملاحظ أن تأثيرات التصنيع والحضرية على الأطفال في الوقت الحالي لا تكون بصورة مباشرة، ولكنها تنتقل إليهم عن طريق تغير بناء ووظائف الأسرة.

لقد كانت التنشئة الاجتماعية تقع على مسؤولياتها برمتها على عاتق الأسرة الممتدة التقليدية حتى سن النضج تقريبا، لكن التغير الذي أصاب الأسرة بنائيا ووظيفيا نقل جوانب عديدة من التنشئة الاجتماعية إلى مؤسسات أخرى خارج المنزل كالمدرسة والنادي ودور السينما، كما أن اشتغال المرأة وتركها مسؤولية رعاية الطفل لغيرها يؤدي إلى مفارقات عديدة في هذا الميدان. [19]

في المجتمع الحضري الجزائري مثلا، تضطلع الأسرة بأدوار مهمة في تربية أبنائها، ففي الماضي كانت الأسرة الحضرية في الجزائر كبقية الأسر العربية تطبق الأسلوب التقليدي في التربية الذي يقوم على السيطرة والخضوع وتدريب الطفل على الطاعة والنظام وتوقيع العقاب الجسماني عليه بمجرد فشله في تنفيذ ما يوجه إليه من أوامر [20]، غير أن التغيرات الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية على مجتمع المدينة في الجزائر قد أثر في تغير نمط وأساليب التربية بانتهاج الأساليب الحديثة للتربية وظهور مؤسسات مكملة للتربية الأسرية بظهور رياض الأطفال ولكن الأمر المهم الذي اتسمت به تغير الأسرة هو خروج الأم للعمل، حيث شغلت الكثير من الجزائريات مناصب عمل في المدن، هذا ما صعب في رعاية وتربية الأبناء وخاصة الصغار منهم.

فخروج الأم الحضرية للعمل على نحو منتظم ومتكرر، وغيابها يوميا لساعات ليست بالقصيرة عن أطفالها، الذين هم في حاجة ماسة إليها، هذا الأمر يختلف مقارنة بالأم الريفية عندما تخرج للعمل في الحقل، بل إن الأم الريفية قد لا

تشعر في خروجها إلى العمل في الحقل بأية مشكلة على الإطلاق من ناحية أطفالها لأن خروجها ليس منتظما ولا دائما أو يوميا، بل يرتبط في الغالب بمواسم وأوقات زراعية معينة. بالإضافة إلى إمكانية اصطحاب الأخ أو الأخت الكبرى للحقل .أما الطفل في المدينة، فهو فرد من أسرة منعزلة، يعيش أغلب وقته في مسكن صغير بين جدران ضيقة، حيث مجال اللعب محدود في أغلب الأحيان لضيق الأحياء و البيوت في المدن الحديثة عموما. [21]

3 - رياض الأطفال والرعاية البديلة للأبناء

3 - 1- عمل الأم و صعوبات رعاية الأبناء

تبنى الأسرة على أساس الرابطة الزوجية، والهدف الأساسي من الزواج هو النسل والإنجاب، وبالتالي فالطفل الذي ينشأ ينبغي إعداده إعدادا كاملا ليحيا حياة فردية في المجتمع، والبيئة العائلية هي التي تخلق له هذا المجال الحيوي من الرعاية والتربية اللازمين كما ذهب" كولي" في قوله: [22] "كما يتشكل الوجود البيولوجي للجنين في رحم الأم، فكذلك يتشكل الوجود الاجتماعي للطفل في رحم الأسرة وحضنها"، فالأسرة –في السابق- كانت المنظمة الوحيدة المسؤولة عن تربية وتنشئة الطفل، لكن مع التطور التكنولوجي وخروج المرأة للعمل تقلصت وظائف الأسرة، في حياة المجتمع الإنساني لسد الثغرات التي نشأت نتيجة تحلل الأسرة وغيرها من الجماعات الأولية من أداء وظائفها التقليدية، ثم أخذت تنمو وتنتشر بالتدرج حتى أصبحت تغطي أغلب نواحي النشاط الحيوية في المجتمع المعاصر. [23]

إن أهم الصعوبات التي تتلقاها المرأة العاملة يوميا هي مشكلة من يعوضها في حالة غيابها عن البيت أثناء تواجدها بمقر العمل، نظرا للتوقيت غير المناسب أحيانا وبروز مشكلة مراقبة ورعاية الأطفال وخاصة الصغار منهم، فالطفل كما

يعرف من وجهة نظر السلوكية "بأنه يتميز بمجموعة من الخصائص السلوكية المميزة لانفعالاته وميوله واتجاهاته تبعد به عن خصائص الراشدين". [24]

وبالتالي فالمسؤولية على عاتق الأسرة والمجتمع كبيرة من خلال توجيه وترشيد هاته السلوكات حتى يتحقق للطفل النضج الفسيولوجي والنضج الاقتصادي وذلك بالاهتمام بالطفل من جميع النواحي الجسمية العقلية والنفسية والاجتماعية.

إن الأم العاملة تحت كنف الأسرة الممتدة بإمكانها الاستعانة بأحد أفراد الأسرة لرعاية أبنائها مثل أخت الزوج وأم الزوج هذا بالنسبة للأقارب الذين ينتمون إلى نفس المسكن، أو الاستعانة بأحد أفراد الأسرة لرعاية أبنائها مثل أخت الزوج وأم الزوج هذا بالنسبة للأقارب الذين ينتمون إلى نفس المسكن، أو الاستعانة بالأخت غير المتزوجة أو الأم في حالة تعذر البديل الأول. لكن مع التطور السريع في المجتمع وظهور الأسرة الحديثة واستقلالية الزوج والزوجة في المسكن خلق بديل اللجوء إلى الاستعانة بمربيات أو إدراج الأبناء في أقسام خاصة ضمن مؤسسات اجتماعية تربوية أهمها رياض الأطفال.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو:

هل يمكن لهؤلاء الأشخاص البديلين أو هاته المؤسسات التربوية تعويض الدور الفعلي للأم في رعاية الأبناء وتربيتهم؟

يتم الإجابة عن التساؤل من خلال عرض لماهية، أدوار وخصائص هاته الدور .

3 - 2- ماهية دور رياض الأطفال

تعتبر رياض الأطفال، مهمّة في ظل الانفتاح والتقدم الذي شهدته الدول العربيّة، على غرار البلدان الأوروبية، بخروج المرأة إلى العمل، فقد أصبحت

تحتلّ مكانة أساسيّة فى حياة الأسر لما لها من تأثير على حياة الأطفال، بل وأضحى لها دور كبير في تنشئة الطفل وتربيته، فأحيانا تتخلّى الأم عن إبنها أو أبناءها منذ الأشهر الأولى لتُلقى بمسؤوليته على عاتق الحاضنة أو معلّمة رياض الأطفال، وذلك نظرا لكونها مجبرة على ذلك ولما تفرضه عليها ظروف عملها، تُحمّل العديد من النساء مسؤولية أطفالهن لحاضنتهم، فدور رياض الأطفال ذات بعد تربوي، تعليمي بالأساس، فهي تخلق للطفل فرصا لتطوير طاقاته وصقل مهاراته الإبداعية. وتسعى رياض الأطفال إلى اعتماد أسلوب الترفيه وتعويض الأبناء عن غياب آبائهم حتى لا يفتقدونهم، كما تعمل على إدماجهم في وسطهم الجديد الذي يعتبر بمثابة منزلهم الثاني، و ينظر إلى رياض الأطفال على أنه حلّ أمثل بالنسبة إلى المرأة التي تشتغل، فبعد أن يُنهى ابنها ساعات دراسته، يذهب ليقضى بقيّة يومه في الروضة حيث يراجع ويعدّ واجباته المدرسية بمساعدة المعلّمات والمربيات.

3 - 3- الأهداف التربوية لرياض الأطفال

تهدف رياض الأطفال إلى إحاطة الطفل ببيئة مهمة لتحقيق نموه وازدهاره، فالفكرة الأساسية في رياض الأطفال هي تمكين الطفل من التعبير عن ذاته وتحقيق نموه، ومن أجل هذه الغاية يعتمد عمل الروضة على النشاط الذاتي الحر للطفل.[25]

وتعتبر تربية الأطفال في المؤسسات الأولية ذات أهمية كبيرة في حياة الطفل وذلك لتميزها واختلافها عن التربية في محيط المنزل فإن لهذه المؤسسات مباني واسعة ومضيئة غالبا، مجهزة بأثاث يناسب الأطفال، ويشرف عليها جماعة مختصون في اختيار اللعب وطرائق التدريس التي تستهدف تطوير القدرات العلمية

والمعرفية عند الطفل وتنميتها بالطرق المناسبة لمثل أعمارهم وتأهيلهم لدخول المدرسة فيما بعد. [26]

لقد شهد المجتمع الجزائري وخاصة خلال الفترة الأخيرة ظهور ونمو سريع لهاته المؤسسات التربوية خاصة بالأوساط الحضرية وبالمدن الكبرى. والتي تسعى إلى بلوغ الأهداف الأساسية التالية: [27]

- تهيئة الطفل للحياة المدرسية المقبلة، وتكوين اتجاهات إيجابية نحو المؤسسات التربوية بما تتضمنه من نشاطات وفعاليات وأنظمة وممارسات تربوية.
- بناء التفكير المنطقي عند الطفل وتطوير أدواته المعرفية عبر فعاليات اللعب والعمل والهدايا والأنشطة والتمارين الحسية المختلفة.
- خلق التذوق الفني وبناء مشاعر الإحساس بالجمال والخير و لشراك الأطفال في الغناء والموسيقى والرسم والرياضة.
- العناية بالخبرات الذاتية للطفل وتطوير هذه الإمكانية بصورة تجعل الطفل أكثر قدرة على فهم الوسط وأكثر تكيفا مع معطياته المختلفة.
- العناية بجسد الطفل وميوله الطبيعية وتقوية أعضائه وأطرافه عن طريق اللعب والعمل والحركة والتمارين الحسية.
- تنمية النزعة الاجتماعية عند الطفل والحس الإنساني، وتنمية اتجاهاته الايجابية نحو الآخر.
- العمل على تنمية حب الاستطلاع والميل إلى الكشف وخلق روح المبادرة المعرفية التي تجعل الطفل أكثر اندفاعا في تحصيل العلم وامتلاكه على نحو نقدي.
- إكساب الطفل مهارات ضرورية له في الحياة وممهدة لمراحل لاحقة كالقراءة والكتابة والرسم والحساب.

ولا شك أن مدى استفادة الطفل من خبرة رياض الأطفال وحتى من بعض الجمعيات الثقافية والتربوية الجوارية والموجودة بكثرة في بلادنا تتوقف إلى حد كبير على شخصيته الابتدائية، وكفاءة المعلمة أو المربية، وكذلك على طبيعة محتوى البرامج المقدمة.

3- 4- خصائص رياض الأطفال :

أكدت الكثير من البحوث التربوية على أهمية السنوات المبكرة للطفولة في تشكيل العقل البشري وتحديد إمكانياته المستقبلية، مما يعني التركيز على التعليم قبل المستوى الابتدائي، لذا فالمسؤولية جماعية تقع على عاتق المجتمع والوالدين والمربين والدولة ومؤسساتها الرسمية وغير الرسمية لأن تحسين أوضاع الطفل تقتضي التنسيق والتكامل ما بين جميع المؤسسات ذات العلاقة، ووضع مصالح الطفل في رأس الأولويات، لأن الأطفال الذين نهتم بهم اليوم هم ورثة المستقبل، فلابد من توفير عناصر البقاء والنماء والحماية لهم.

والروضة الجيدة يمكن أن تحسن من نوعية حياة الآباء، مما يحسن العلاقة بين الأهل والطفل.. وتسعى إلى زيادة حصيلة الأسرة التربوية عن طريق التواصل واللقاءات بين الروضة والأسرة، وتطوير هذه اللقاءات حتى يكون دور الروضة فعالاً في رفع القدرة التربوية للأسرة. والروضة تصقل سلوكيات الطفل وتشعر الأسرة بضرورة هذه المرحلة حين تتعرف على السلوكيات التي ينقلها الطفل إلى الأسرة، ويتعلم الطفل التعامل مع عدد من الأشخاص خارج نطاق الأسرة، ويتعرف أيضاً على ثقافة المجتمع وتراثه الحضاري من خلال القصص والحكايات التي تعرفه بها مع مناقشتها وتطوير مفاهيمها، ويتعلم الطفل كيفية اتخاذ القرار وحل المشكلات والتفكير الخلاق، وهذا ما يجعله إنساناً متوازناً في المجتمع.

وهكذا كل النتائج التي ظهرت من خلال الدراسات والأبحاث أكدت أن مرحلة الروضة هي المرحلة الأساسية من التعليم، فجعلت الأسر تقتنع بأهمية الروضة في المرحلة المبكرة من حياة الطفل. وكما يكون تأثير الروضة في الأسرة كذلك يمتد أثر الروضة إلى المجتمع إذ تسهم الروضة في بناء قدرات الطفل [28].

3 - 5 - شروط نجاعة رياض الأطفال و متطلبات التنشئة الأسرية :

إن مرحلة الطفولة المبكرة هي مرحلة التأسيس في تكوين شخصية الطفل من نواحيها المختلفة، الذهنية والاجتماعية والجسدية والوجدانية ففي هذه المرحلة ترسم أبعاد نمو الطفل الجسمية والحسية والذهنية والنفسية والوجدانية والخلقية، وفي هذه المرحلة تتكوَّن أنماط التفكير والسلوك وبناء أساسيات المفاهيم والمعارف والخبرات والميول والاتجاهات، وفيها تتنامى قدرات الطفل العقلية والإدراكية وملكاته اللغوية.

أكد "عبد العزيز الشنتاوي" و"محمد عادل الأحمر" في دراستهما عن واقع التربية ما قبل المدرسة ، إلى إبراز أهمية رياض الأطفال لكي تؤدي دورا مهما وبديلا حقيقيا عن رعاية الأبناء في غياب الأم عن البيت، وأن تحقق دوران : تربوي و تعليمي [29]، و لا يتحقق ذلك إلا من خلال مراعاة شروط موضوعية عند فتح هذه الدور و هي ثلاثة أصناف:

أ- شروط تتعلق بصاحب المشروع: كأن يكون حاملا لشهادة علمية، أقدمية في التعليم، متمتعا بحقوقه المدنية، حسن السيرة و السلوك .

ب - شروط تتعلق بالمبنى :

- من حيث الموقع : كأن يكون بعيدا عن الميادين الصناعية و التجارية وعن الضوضاء .

- من حيث الجانب الصحي : كتوفر تهيئة و الإضاءة ووجود الحمامات، ومعدات تكييف هواء .

- من حيث التخطيط العمراني: كتوفر مساحات كافية في الداخل و الخارج، وغرف للدراسة و أخرى للنشاط و أخرى للإدارة.

ج- ـشروط تتعلق بالمربياتـ: كأن يكون لهن مؤهل علمي مناسب ، و أن تكن سليمات من الأمراض المعدية ، و حسن السيرة و السلوك [30].

خاتمة

ارتبط ظهور رياض الأطفال بالتغير الحاصل الذي شهدته الأسرة الحالية ، في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وخاصة نتيجة لتعلم وخروج المرأة للعمل، الشيء الذي نتج عنه صعوبة مراقبة الأبناء في فترة غيابها ، بالإضافة إلى البحث عن آليات تربوية بديلة لدور الأم في ذلك ، فكان لرياض الأطفال البديل المناسب لذلك.

إن استفادة الطفل من خبرة رياض الأطفال تتوقف إلى حد كبير على شخصيته، وكفاءة المعلمة أو المربية، وكذلك على البرامج المقدمة، التي يجب أن تكون ذات صلة مباشرة بحياة الطفل.ولتنمية و بلوغ التنشئة الأسرية السليمة لا يتأتى ذلك إلا من خلال توفير مؤسسات رياض الأطفال الكفؤة و التي تشمل الكادر المناسب والمتبعة للبرامج التعليمية والترفيهية الملائمة لطبيعة الطفل النفسية والعقلية والوجدانية والإبداعية .

الهوامش :

[1]- أحمد، يحي عبد الحميد، **الأسرة و البيئة**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ص 7.

[2] - عبد القادر، القصير، **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1999، ص 33.

[3] - نفس المرجع ، ص 34.

[4] - أحمد، يحيى عبد الحميد: مرجع سبق ذكره، ص15.

[5] - مصطفى ، الخشاب ، **علم الاجتماع العائلي** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، 1981، ص 32.

[6] - نفس المرجع ، نفس الصفحة .

[7] إقبال ، محمد بشير وآخرون : **ديناميكية العلاقات الأسرية** ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ،1997، ص19.

[8] - أحمد يحى عبد الحميد : مرجع سبق ذكره، ص.15

[9] - أنتوني، غدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة وتقديم فايز الصباغ ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص251.

[10] - فوزية، ذياب، **نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة** ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط3، 2001 ، ص 110.

[11] - نفس المرجع، نفس الصفحة.

[12] - أحمد، محمد الطيب: **أصول التربية** ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، 1999، ص 74.

[13] - سناء، الخولي، **الأسرة والحياة العائلية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1977، ص 191.

[14] - أحمد، محمد الطيب: مرجع سبق ذكره، ص72.

[15] - نفس المرجع ، ض 73.

[16] - التليلي، **التربية التقليدية وعلاقة الأبناء بالأم**، جريدة الصريح، تونس، عدد 1701، 13 ديسمبر، 2006، ص 15.

[17] - عبد القادر، القصير: مرجع سبق ذكره، ص ص 192، 193.

[18] - نفس المرجع، ص193

[19] - سناء الخولي: **التغير الاجتماعي والتحديث** ، دار المعرفة الجامعية، ، الإسكندرية ، 2003 ،ص221.

[20] - عبد القادر القصير: مرجع سبق ذكره، ص 195.

[21] - نفس المرجع، ص 134.

[22] - سهير، كامل أحمد، **سيكولوجية نمو الطفل**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1999، ص 212.

[23] - أميرة، منصور يوسف علي، **محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999،ص 189.

[24] - نفس المرجع ، ص 139.

[25] - علي ، أسعد وطفة، خالد الرميض، **التربية والطفولة، تطورات علمية وعقائد نقدية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد ، بيروت، 2004، ص 230.

[26] - رواد ،عودة، **أهمية الروضة في تربية الطفل**، (يومية العروسة) ❖ نسخة الكترونية ❖ قراءة **يوم** 2015/3/23 www.Ouruba.alnahda.gov.sy

[27] - علي، اسعد وطفة وخالد الرميضي، مرجع سبق ذكره، ص ص 233، 234.

[28] - فطوم، نزيه بالوش، **دور الروضة في تربية الطفل** ، ❖ نسخة الكترونية ❖ قراءة يوم 2015/09/12. www.an-nour.com/index.php

[29] - عبد العزيز، الشنتاوي و محمد عادل الأحمر : **واقع التربية ماقبل المدرسة**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1983، ص 28.

[30] - نفس المرجع، نفس الصفحة.